

المحاضرة السادسة

القسم الثاني: التفسير بالرأي

التفسير بالرأي لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة " (رأي) الرء والهزمة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرة. فالرأي: ما يراه الإنسان في الأمر "

يُطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه: أصحاب الرأي: أي أصحاب القياس. والمراد بالرأي هنا "الاجتهاد"

التفسير بالرأي اصطلاحاً: عرفه الذهبي فقال هو " عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفة للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفة بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر "

كيف تبلور التفسير بالرأي

تبلور هذا النوع من التفسير على يد ابن عباس (ت: ٦٨) حيث كان يعتمد على الشعر العربي في التفسير اللغوي وقد اثر عنه انه قال " اذا سألتوني عن غريب القرآن فالتسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب " وقال ايضا " اذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر فان الشعر عربي " وقد اورد السيوطي (٩١١) في الانتقان معظم الاجوبة التي سأل عنها نافع بن الأزرق ابن عباس مشفوعة بما يصدقها من شعر العرب " عن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكنفته الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به فقاما إليه فقالا إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فنفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس سلاني عما بدا لكما فقال نافع أخبرني قال أخبرني عن قوله { شُرْعَةٌ وَمِنْهَاجًا } قال الشرعة الدين والمنهاج الطريق قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى وبين للإسلام دين ومنهاجا

قال: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل: (إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) قال: نضجه. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الشاعر وهو يقول: إذا ما مشت وسط النساء تأودت ... كما اهتز غصن ناعم التبت يانع

وكذلك اعتمد ابن عباس التفسير البياني كقوله تعالى: (كَبَّاسُ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) فقال ابن عباس هذا مثل المشرك الذي عبد مع الله غيره، فمثله كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، فهو يريد أن يتناولوه ولا يقدر عليه

وكذلك اعتمد ابن عباس على عادات العرب قبل الاسلام في تفسيره للقران الكريم كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا) عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه، فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها، أو يجسها حتى تقتدي منه بصدافها، أو تموت فيذهب بمالها

وكانت المحاولات الاولى لهذا النوع من التفسير في القرن الثالث على يد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، وذلك من خلال الترجيح بين الاقوال، واعتماد اللغة، وعادات العرب، والاهتمام بمسائل النحو، والاستنباطات الفقهية

ومن ابرز المدارس التي اعتمدت هذا النوع من التفسير هي مدرسة المعتزلة التي يراسها الزمخشري (ت: ٥٣٨)

اسباب التوسع في هذا النوع من التفسير

- ١- ان التفسير بالمأثور لم يغطي كل الآيات
- ٢- وذلك بسبب ضعف السليقة العربية واختلاط العرب بغيرهم من الامم
- ٣- الخلاف المذهبي بين الفرق التي ظهرت، فكانت كل فرقة تفسر آيات القران بما يتفق مع عقائدها
- ٤- تطور العلوم وتقدمها في عصرنا الحاضر

موقف العلماء من التفسير بالرأي:

اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز تفسير القران بالرأي، ووقف المفسرون بإزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين: وانقسموا في ذلك الى فريقين فريق اجاز التفسير بالرأي وفريق منع التفسير بالرأي، وفيما يلي عرض لأدلة كل فريق:

الفريق الاول: فريق المجوزين فقد استدلوا على ما ذهبوا إليه بالقران والسنة واقوال الصحابة والتابعين وعلى النحو الاتي:

- ١- أولاً: استدلوا من القران بنصوص كثيرة وردت في كتاب الله تعالى: منها قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا..} وقوله: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ}
- ٢- ثانياً - استدلوا بالحديث الذي دعا فيه النبي لابن عباس قالوا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا لِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ فِي دَعَائِهِ لَهُ: "اللَّهُمَّ فَتَّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ"

٣- ثالثاً - واما اقوال الصحابة فقد استدلوا بالحديث، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «الْعَقْلُ، وَفَكَالُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»

٤- رابعا - قالوا: لو كان التفسير بالرأي غير جائز لما كان الاجتهاد جائزا، ولتعطل كثير من الأحكام، وهذا باطل بَيِّنُ البطلان، وذلك لأن باب الاجتهاد لا يزال مفتوحاً إلى اليوم أمام أربابه، والمجتهد في حكم الشرع مأجور، أصاب أو أخطأ

الفريق الثاني: أدلة القائلين بعدم جواز التفسير بالرأي والاجتهاد:

١- استدلوا بالقران الكريم بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) ، وكذلك بقوله تعالى (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) ، فقالوا ان التفسير بالرأي قول على الله بلا علم وهذا منهي عنه في القران فهو محرم

٢- استدلوا بالحديث فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" وما روي أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"

٣- ما روي عن السلف الصالح من الصحابة، سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من قوله تعالى: (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) من القرآن فقال: "أي ساء تظلني؟، وأي أرض تقلني؟، وأين أذهب؟، وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد الله؟، وفي رواية: "إذا قلت في كتاب الله بما لا أعلم؟" ، وورد عن الامام علي عليه السلام "قَالَ لَوْ كَانَ الَّذِينَ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلَ الْخُحْفِ أَوْ لَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسَحُ عَلَى ظَاهِرِ خُفِّهِ"

٤- اما اقوال التابعين فقد استدلوا بقول الشعبي: قال والله ما من آية إلا قد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله

الترجيح

جواز التفسير بالرأي والاجتهاد بشروط

لو لم يفسر القرآن بالاجتهاد لفات معنى التدبر والتأمل في القرآن الذي حثنا الله عليه في غير آية ، ولفات كثير مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب، وألوان المعارف والعلوم، التي لا يزال يظهر منها في كتاب الله كل يوم جديد "

وقال الالوسي (ت: ١٢٧٠) "والعجب كل العجب مما يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر إلى اختلاف التفاسير وتنوعها ولم يعلم أن ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك كالكبريت الأحمر فالذي ينبغي أن يعول عليه أن من كان متبحرا في علم اللسان مترقيا منه إلى ذوق العرفان وله في رياض العلوم الدينية أوفى مرتع، وفي حياضها أصفى مكرع يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد وقد غدا ذهنه لما أغلق من دقائق التحقيقات أحسن إقليد

فذاك يجوز له أن يرتقي من علم التفسير ذروته ويمتطي منه صهونه، وأما من صرف عمره بوساوس أرسطا طاليس واختار شوك القناذ على ريش الطواويس فهو بمعزل عن فهم غوامض الكتاب وإدراك ما تضمنه من العجب العجاب"

وخلاصة ما تقدم نقول لا مانع من تفسير القران بالرأي الصحيح الموافق للشروط الضرورية لصحته وصوابه وقبوله

اقسام التفسير بالرأي

١- رَأْيٌ بَاطِلٌ بِلَا رَيْبٍ

٢- وَرَأْيٌ صَحِيحٌ

الرأي الباطل او المذموم: وهو الذي لا يجري على قوانين العربية ولا يوافق الأداة الشرعية ولا يستوفي شرائط التفسير. فَهَذَا هُوَ الرَّأْيُ الْمَذْمُومُ مِنْ غَيْرِ إِشْكَالٍ

والرأي الصحيح او المحمود: "هو تفسير جارٍ عَلَى مُوَافَقَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَمُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ إِهْمَالُ مِثْلِهِ لِعَالَمِ بِنَا" "ومراعاة سائر شروط التفسير من علم باللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة لتفسير المجمع والمبهم"

نماذج تطبيقية على التفسير بالرأي الباطل والمذموم

قاعدة تفسيرية "كُلُّ مَعْنَى مُسْتَنْبَطٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرِ جَارٍ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ؛ فَلَيْسَ مِنْ عُلُومِ الْقُرْآنِ فِي شَيْءٍ"

١- وَمِنْ أَمَثِلِهِ هَذَا الْفُضْلُ مَا ادَّعَاهُ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ مِنْ أَنَّهُ مُسَمَّى فِي الْقُرْآنِ كَبِيَانِ بْنِ سَمْعَانَ، حَيْثُ زَعَمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} ، وَهُوَ مِنَ التَّرَهَاتِ بِمَكَانٍ مَكِينٍ، وَالسُّكُوتُ عَلَى الْجَهْلِ كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ هَذَا الْإِفْتِرَاءِ الْبَارِدِ، وَلَوْ جَرَى لَهُ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ لَعَدَّهُ الْحَقَمِيُّ مِنْ جُمَّلَتِهِمْ، وَكَانَ كَشَفَ عَوَارِ نَفْسِهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، عَاقَبَانَا اللَّهُ وَحَفِظْنَا عَالِيَنَا الْعَقْلَ وَاللِّبْنَ بِمَنِّهِ

٢- وَمِثْلُهُ فِي الْفُحْشِ مَنْ تَسَمَّى بِالْكَسْفِ، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا} ؛ فَأَيُّ مَعْنَى يَكُونُ لِلآيَةِ عَلَى زَعْمِهِ الْفَاسِدِ؟ كَمَا تَقُولُ: وَإِنْ يَرَوْا رَجُلًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا: سَحَابٌ مَّرْكُومٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا

٣- وَمِنْ أَرْبَابِ الْكَلَامِ مَنِ ادَّعَى جَوَازَ نِكَاحِ الرَّجُلِ مِمَّا تَسَعُ نِسْوَةٌ حَرَائِرَ مُسْتَدِلًّا عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَاتَّكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} ، وَلَا يَقُولُ مِثْلَ هَذَا مَنْ فَهَمَ وَضَعَ الْعَرَبِ فِي مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ

٤- وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى شَحْمَ الْخَنزِيرِ وَجِلْدَهُ حَلَالًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ} ، فَلَمْ يَحْرِمِ شَيْئًا غَيْرَ لَحْمِهِ، وَلَفْظُ اللَّحْمِ يَتَنَاوَلُ الشَّحْمَ وَغَيْرَهُ بِخِلَافِ الْعَكْسِ

شروط التفسير بالرأي

لكي يكون التفسير بالرأي صحيحاً ومنضبظاً وضع له العلماء شروط أربع وفيما يلي عرض لتلك الشروط :

- ١- الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز عن الضعيف والموضوع.
- ٢- الثاني الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم
- ٣- الثالث الأخذ بمطلق اللغة. فإن القرآن نزل بلسان عربي
- ٤- الرابع التفسير بالمتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل)

أهم كتب التفسير بالرأي الجائز

- ١- مفاتيح الغيب: للفخر الرازي (ت: ٦٠٦)
- ٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: للبيضاوي (ت: ٦٨٥)
- ٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: للنسفي (ت: ٧٠١)
- ٤- أبواب التأويل في معاني التنزيل: للخازن (ت: ٧٤١)
- ٥- البحر المحيط: لأبي حيان (ت: ٧٤٥)
- ٦- غرائب القرآن ووعائب الفرقان: للنيسابوري " أما تاريخ وفاته، فلم نعثر عليه في الكتب التي بين أيدينا، وكل ما عثرنا عليه هو قول صاحب روضات الجنات: "إنه كان من علماء رأس المائة التاسعة"
- ٧- تفسير الجلالين: للجلال المحلى، (ت: ٨٦٤) والجلال السيوطي (ت: ٩١١)
- ٨- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: للخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧)
- ٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: لأبي السعود (ت: ٩٨٢)
- ١٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للألوسي (ت : ١٢٧٠)